على ممالكهم مما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما راوا عزيمته مستقرة على العبور ارسل بعضهم
الى بعض وكانوا يستنجدون ارائهم في امره وكان مفزعهم في ذلك الى المعتمد بن
عباد لانه كان اشجع القوم واكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته وقد تحققوا انه
يقصدهم يسئلونه الاعراض عنهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من اهل الاندلس كتابا
هو اما بعد فانك ان اعرضت عنا نسبت الى كرم نسبك فانك بالمحل الذي لا يجب ان تنسب
فيه الى مكرمة وان في استبقائنا لك ذوي البيوت ما شئت من دوام لامرك وثبوته و
السلام فلما جاء الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي
لكنه كان يجد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال
له ايها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم اهل دعوتك
وتحت طاعتك يلتمسون منك ان لا تجعلهم في منزلة الاعادي فانهم مسلمون وهم من ذوي
البيوتات فلا تغير بهم وكفى بهم من وراءهم من الاعداء الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل
العساكر فاعرض عنهم اعراضك عمن اطاعك من اهل الغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه
فما ترى انت فقال ايها الملك اعلم ان تاج الملك وبهجته وشاهده الذي لا يرد بانه خليق
بما حصل في يده من الملك ان يعفو اذا استعفي وان يهب اذا استوهب وكلما وهب جزيلا
كان اعظم لقدره فاذا عظم قدره تاصل ملكه وان تاصل ملكه شرف الناس بطاعته واذا
كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك
لاعقبه واعلم ان بعض الملوك الاكابر والحكماء البصراء بطريق الملك قال من جاد ساد ومن ساد
قاد ملك البلاد فلما القى الكاتب هذا الكلام الى يوسف بن تاشفين بلغته فهمه وعلم انه صحيح
فقال للكاتب اجب القوم واكتب بما يجب من ذلك واقرا علي كتابك فكتب الكاتب بسم الله
الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية من سالمكم
وسلم اليكم وحكمه التاييد والنصر فيما حكم عليكم وانكم مما في ايديكم من الملك في اوسع
اباحة مخصوصون منا باكرام وايثار وسماحة فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا
اخاءنا باخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قراه على يوسف
بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به يوسف بن تاشفين درق اللمطية مما لا يكون الا
في بلاده قلت اللمطية بفتح اللام وسكون الميم وبعدها طاء مهملة وياء مشددة مثناة من
تحتها وبعدها هاء ساكنة هذه النسبة الى لمطه وهي بليدة عند السوس الاقصى بينها وبين
سجلماسة عشرون يوما قاله ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك وهي معدن الدرق اللمطية
لا يوجد في الدنيا مثلها على ما يقال والله اعلم قال فانفذ ذلك اليهم فلما قراوا الكتاب احبوه
وعظموه وفرحوا بولاية ملك العرب وقويت نفوسهم على دفع الفرنج ما يريبهم ان يجيزوا
اليه يوسف بن تاشفين ويكون من اعوانه على ملك الفرنج فتحصل ليوسف بن تاشفين
بهذا الراي ورئاسة ما اراد من محبة اهل الاندلس له وكفاه الحرب لادفونش صاحب طليطلة فانه
ملك الفرنج اخذ مجوس من خلال الديار ويفتح بلاد الاندلس ويتسلط على ملوكهم يطلب البلاد منهم

خصوصا

خصوصا المعتمد بن عباد فانه كان مخصوصا منه وقد تقدم في ترجمة المعتمد ذكر تاريخ اخذه
طليطلة والابيات التي قيلت في ذلك فنظر المعتمد في امره وراى ان الادفونش قد اطمع
فيما يلي بلاده فاجمع امره على استدعاء يوسف بن تاشفين الى العبور على ما فيه من الخطر
وعلم ان مجاورة غير الجنس بموده بالبوار وان الفرنج والملثمين ضدان له الا انه قال
ان ذهبنا من مداخلة الاضداد لنا فاهون الامرين امر الملثمين ولان يرعى اولادنا جمالهم
احب اليهم من يرعوا خنازير الفرنج ولم يزل هذا الراي نصب عينيه مهما اضطر اليه و
ان الادفونش خرج في بعض السنين يتخلل بلاد الاندلس في جمع كثير من الفرنج فخافه ملوك
الاندلس على البلاد واجفل اهل القرى والوسايق بين يديه ولجاوا الى المعاقل فكتب المعتمد
بن عباد الى يوسف بن تاشفين يقول له ان كنت مؤثرا للجهاد فهذا اوانه فقد خرج الادفونش
الى البلاد فاسرع في العبور اليه ونحن معاشر الجزيره بين يديك وكان يوسف بن تاشفين
على اتاهبه فشرع في عبور عساكره فلما ابصر ملوك الاندلس عبور اهل المغرب يطلبون الجهاد
وكانوا قد وعدوا من انفسهم بالمساعدة اعدوا ايضا للخروج فلما راى الادفونش اجتماع
العزايم على حربه علم انه عام نطاح فاستنفر الفرنجيه للخروج فخرجوا في عدد لا يحصيه
الا الله تعالى ولم تزل الجموع تتالف وتتدارك الى ان امتلات جزيرة الاندلس خيلا ورجلا
من الفريقين كل ناس قد اتفقوا على ملكهم فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في اخرها
وامر بعبور الجمال فعبر منها ما اغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن
اهل الجزيرة راوا قط جملا ولا كانت خيلهم قد رات صورها ولا سمعت اصواتها فكانت
تذعر منها وتقلق وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها راي مصيب كان يحلق بها
معسكره وكان يحضرها الحرب وكانت خيل الفرنج تحجم عنها فلما تكاملت العساكر بالجزيره
قصدت الادفونش وكان نازلا بمكان افيح من الارض يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس
قال الشاشي بين المكانين اربعة فراسخ وقال ايضا ان يوسف بن تاشفين قدم بين يدي
حربه كتابا على مقتضى السنة يعرض عليه الدخول في الاسلام او الحرب ومن فصول كتابه
وبلغنا يا ادفونش انك دعوت في الاجتماع بك وتمنيت ان يكون لك فلك تعبر البحر عليها
الينا فقد اجزناه اليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك
وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما سمع الادفونش ما كتب اليه جاش بحر غيظه وزاد في
طغيانه واقسم لا يبرح من مكانه حتى يلقاه ثم ان تاشفين ومن معه وقصدوا الزلاقة
فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه الفرنج بها فاختار المعتمد بن عباد ان يكون هو المصادم
لهم اولا وان يكون يوسف بن تاشفين اذا انهزم المعتمد بعسكره بين ايديهم ويتعوق يحمل
عليهم بعساكره ويتالف معه عساكر الاندلس فلما عزموا على ذلك وفعلوه خذل الفرنج و
خالطهم عساكر المسلمين واستحر القتل فيهم فلم يفلت منهم غير الادفونش في دون الثلاثين من اصحابه
فلحق ببلاده على سوء حاله فغنم المسلمون من اسلحتهم وخيلهم واثاثهم ما ملا ايديهم فيما قلت و
كانت الوقعة في يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة وقيل في
شهر رمضان في العشر الاواخر منه من السنة والله اعلم وقال الشاشي كان حلول العساكر الا سلامية

Copyright © King Saud University